الفصل الرابع
خطباء الفرق والمذاهب الدينية

المبحث الأول

نموذج لخطب اشهر خطباء الفرق والمذاهب الدينية

أبو حمزة الشاري(1)

نموذج من خطبه

كانت المدينة منبراً لخطب قوية رائعة لابي حمزة الشاري الاباضي يقرع فيها اهلها على تقصيرهم عن النهوض لنصرة الحق، مع علمهم به، ويحرضهم على بني امية وآل مروان ويذكر مساوئهم ويذم الشيعة في تعصبهم لحزب لزموه، وادعائهم مالا يعلمون ويذكر اصحابه، وجميل خصالهم، وجليل اعمالهم، ويحسن الدفاع عنهم ونجتزي من هذه الخطب كنموذج بقدر يسير، يدل على اتجاهاتها، ومدى مسايرتها للتيارات السياسية وتوفيقها في تسجيلها في هذا العصر حيث دخل ابو حمزة المدينة سنة ١٣٠هـ فرقى المنبر، فحمد الله، واثنى عليه، ثم قال: (يا أهل المدينة. سألناكم عن ولاتكم هؤلاء فأسأتم -لعمر الله-فيهم القول، قلتم: والله فيهم الَّذي يعلم، اخذوا المال من غير حلِّه، فوضعوه في غير حقه، وجاروا في الحكم، فحكموا بغير ما انزل الله، واستأثروا بفيئنا فجعلوه دُولةً بين الاغنياء منهم، وجعلوا مقاسمنا وحقوقنا في مهور النساء، وفروج الاماء، فقلنا لكم: تعالوا نحن وانتم إلى هؤلاء الذين ظلمونا وظلموكم، وجاروا في الحكم، فحكموا بغير ما انزل الله، نناشدهم الله ان ينتحوا عنا وعنكم ليختار المسلمون لانفسهم، فقلتم: لا يفعلون، فقلنا لكم: تعالوا نحن وانتم نقاتلهم فأن تظهر نحن وانتم، نأت بمن يقيم فينا وفيكم كتاب الله وسنة نبيه محمد صلى الله

---

(1) ابو حمزة الشاري : هو ابو حمزة المختار بن عوف بن مالك الازدي السليمي البصري ، ثائر فتاك من الخطباء القادة من بني سليمة بن مالك ولد بالبصرة واخذ بمذهب الاباضية وكان يدعو الى الخروج على مروان بن محمد استولى على مكة والمدينة قتل سنة ١٣٠هـ /٧٤٨م في مكة من قبل عبد الملك بن محمد بن عطية السعدي ، ينظر : ابن الاثير ، الكامل في التأريخ ج٥ ص١٤٦ ، المسعودي ، مروج الذهب ج٥ ص٢٦٠ ، ابن تغري يردي ، النجوم الزاهرة ج١ ص٣١١ يذكر انه قتل يوم واقعة قديد.

عليه وسلم، فقلتم: لا نقوى على ذلك، فقلنا لكم: فخلوا بيننا وبينهم، فأن نظفر نعدل في احكامهم، ونحملكم على سنة نبيكم صلى الله عليه وسلم ونقسم فيأكم بينكم فأبيتم، وقاتلتمونا دونهم، فقاتلناكم، فأبعدكم الله واسحقكم) [1]

وخطب بالمدينة فقال: (يا أهل المدينة مررت بكم في زمن الاحول هشام[2] بن عبد الملك وقد اصابتكم عاهة بثماركم، وكتبتم اليه تسألونه ان يضع خراجكم عنكم فكتب اليكم بوضعه عن قوم من ذوي اليسار منكم، فزاد الغنيَّ غنىً، وزاد الفقير فقراً، فقلتم جزاك الله خيرا، ولا جزاه خيراً)[3].

تحليل الخطبة : الخطبة جارية في موضوعها واتجاهها على ماعرف في هذه الحقبة من الخطب الدينية الوعظية، والسياسية، وبلاغه أبي حمزة الخارجي في خطبته في المدينة واقتداره على الخطابة والارتجال والقدرة في التصرف في الكلام وكان لهم باع طويل في الخطابة ولخطابته طابع من القوة والبلاغة والتدفق يميزها من غيرها وكانت اكثر خطبة في اهل المدينة[4] يذمهم ويقرعهم على انقيادهم لحكامهم، فهو بعد ان سأل أهل المدينة عن احوالهم الاجتماعية مع من كان يحكمهم وانما هم مذبذبون لا إلى هؤلاء ولا إلى هؤلاء لا يقولون الحقيقة ولم يعطوا المصداقية في كلامهم، وهم

---

[1] ينظر: الطبري، تأريخ الرسل والملوك ، ج٩ ص١٠٧ ، ابن عبد ربه ، العقد الفريد ج٢ ص١٦٢، ابو الفرج الاصفهاني ، الاغاني ج٢٠ ص ١٠٣ .

[2] هشام بن عبد الملك : هو هشام بن عبد الملك بن مروان من خلفاء الدولة الاموية في الشام ، ولد في دمشق سنة ٧١هـ وبويع بالخلافة سنة ١٠٥هـ. وخرج عليه زيد بن علي بن الحسين رضي الله عنهم اجمعين سنة ١٢٠هـفقتله واحرقه وبنى الرصافة على اربعة فراسخ من الرقة غربا ، توفي سنة ١٢٥هـ/٧٤٣م. بنظر: الطبري، تأريخ الرسل والملوك ج٨ ص٢٨٣،ابن الاثير،الكامل في التأريخ ح٥ ص٩٦.

[3] ينظر: الطبري ، تأريخ الرسل والملوك ج٩ ص١٠٨ ، ابو الفرج الاصفهاني ، الاغاني ، ج٢ ص١٠٣ .٢

[4] ينظر: المبرد، الكامل في اللغة والادب، جـ٢، ص٢٣١، الدكتور محمد طاهر دروش، الخطابة في صدر الاسلام، جـ١، ص ص٤٠٨- ٤١٠.

غير صادقين في قولهم وفي حقيقة القول وصوروا لابي حمزة بعد سؤاله عن احوالهم مع هؤلاء الحكام والولاة بأنهم اخذوا اموالهم من فيء وخراج وتصرفوا، فيه فجعلوا الغني يزداد غنى والفقير يزداد فقرا ثم يصور في خطبته بأن هؤلاء الحكام لم يحكموا بما انزل الله ثم يقرر ويطلب من الحكام أن يجعلوا المسلمين يحققون مبدأ الاختيار لمن يريدون من خليفة ووالي فهو يتظاهر بأن مبدأ الاختيار هو الذي يجب ان يسود في الحكم وان الحكم يبنى على هذا الاساس. ثم في خطبته يقرر مبدأ القتال لهؤلاء الحكام الذين ابتعدوا عن حكم الله وسنة رسوله وجعلوا الاموال دولة بين الاغنياء، ثم يرد عليهم ويقرعهم في قولهم بالخليفة هشام بن عبد الملك آنذاك بكلمة جزاه الله خيراً فيقول لقد قلتم هذا على غير وجه الحقيقة والصدق فهو لا يستحق هذا الثناء والحمد والجزاء والاجزاء له من الله خيراً.

واصل بن عطاء

نموذج من خطبه

اجتمع خالد بن صفوان وشبيب بن شيبة والفضل بن عيسى الرّقاشي[1]، وواصل بن عطاء عند عبد الله بن عمر بن عبد العزيز والي العراق في حفل غاص بوجوه القوم فخطبوا على هذا الترتيب وهم من اشهر خطباء العرب وانبههم شأنا، واعلاهم في مجال القول كعباً فلما انتهى القول قام واصل بن عطاء فقال (الحمد لله القديم بلا غاية والباقي بلا نهاية، الذي علا في دنّوه، ودنا في علوّه، فلا يحويه زمان، ولا يحيط به مكان، ولا يئوده[2] حفظ ما خلق ، ولم يخلقه على مثال سبق، بل انشأه ابتداعاً، وعدله اصطناعاً فأحسن كل شيء خلقه، وتمم مشيئته، واوضح حكمته، فدل

---

[1] الفضل بن عيسى الرقاشي : هو الفضل بن عيسى بن ابان الرقاشي ، واعظ من اهل البصرة كان من اخطب الناس وهو رئيس طائفة من المعتزلة وكان قدريا سجاعا في قصصه ، توفي سنة ١٤٠هـ. ينظر: الجاحظ ، البيان والتبين ج١ ص٢٩٠. ابن حجر العسقلاني ، تهذيب التهذيب، ج٨ ص٢٨٣.

[2] يئوده بمعنى يثقل عليه . ينظر: أبو بكر الرازي، مختار الصحاح، ص١٠.

على الوهيته ، فسبحانه لا معقِّب[1] لحكمه، ولا دافع لقضائه تواضع كل شي لعظمته، وذل كل شيء لسلطانه ، ووسع كل شيء فضلُه، ولا يَعْزُب عنه مثقال حبة وهو السميع العليم.. اوصيكم عباد الله مع نفسي بتقوى الله والعمل بطاعته، والمجانبة لمعصيته، واحضكم على ما يدنيكم منه ويُزْلِفكم لديه، فأن تقوى الله افضلُ زاد واحسن عاقبةً في معاد، ولا تلهيكم الحياة الدنيا بزينتها وفواتن لذاتها، وشهوات امالها فأنها متاع قليل، ومدة الى حين،وأهلكت من جَنَح اليها، واعتمد عليها ، واذاقتهم حلو ، ومزجت لهم سما، أين الملوك الذين بنوا المدائن، وشيدوا المصانع، واوثقو الابواب، وكاثفوا الحجاب واعدوا الجياد، وملكوا البلاد، واستخدموا التلاد قبضته بمَحملِها[2] وطحنتهم بكلكلها[3]، وعضتهم بأنيابها، وعاصتهم من السعة ضيقاً، ومز العزة ذلاً، ومن الحياة فناء) [4].

نقد وتحليلها الخطبة

كان واصل بن عطاء آية في البلاغة والقدرة على التصرف في الكلام والفرار مما يعيب منطقه واطراح ما يشوب بيانه، وكان قبيح اللثغة شنيعها فما زال يروض نفسه على التخلص من الراء في كلامه حتى استقام له ذلك، واستراح من هجنته فكان[5] يخطب الخطب الطوال خالية من الراء، محتفظة مع ذلك بحسنها وبلاغتها دون ان يلحظ فيها صنعة او تفاوت وضعف. وفي هذا يقول الجاحظ (ولما علم واصل بن عطاء انه الثغ، فاحش اللثغ، وان مخرج ذلك منه شنيع، وانه اذ كان داعية مقالة، ورئيس نِحْلة، وانه يريد الاحتجاج على ارباب النِّحَل، وزعماء الملل وانه لابد

---

[1] لا معقب لحكمه : أي لا راد له . م،ن ، ص٤٤٤.

[2] قبضتهم بمحملها : أي اخذتهم واحتوت عليهم بما تحمل فيه . ينظر: ابو بكر الرازي ،مختار الصحاح ، ص١٥٤.

[3] الكلكل بمعى الصدر . ينظر: م . ن ، ص٥٧٧.

[4] ينظر: الجاحظ ، البيان والتبين ج١ ص٣٤ .

[5] ينظر: القيرواني، زهر الاداب، جـ٣، ص٣٤٧. الدكتور محمد طاهر دروش، الخطابة في صدر الاسلام، جـ٢، ص ص٤١١-٤١٢.

من مقارعة الابطال ومن الخطب الطوال، وان البيان يحتاج الى تمييز وسياسة والى ترتيب ورياضة، والى اتمام الآلة، واحكام الصنعة، والى سهولة المخرج، وجهارة المنطق وتكميل الحروف، واقامة الوزن، وان حاجة المنطق الى الطلاوة والحلاوة كحاجته الى الجلالة والفخامة، وان ذلك من اكبر ما تستمال به القلوب، وتتثني اليه الاعناق، وتزين به المعاني. وعلم واصل انه ليس معه ما ينوب عن البيان التام واللسان المتمكن والقوة المتصرفة، كنحو ما اعطى الله نبيه موسى عليه السلام من التوفيق والتسديد مع لباس التقوى وطابع النبوة. واذا فقد كان واصل من قوة المعارضة، ومن ذلاقة اللسان ومن استفاضة البيان، بحيث يرتجل الخطب الطوال، ويقاوم الخصماء، ويقارع الاكفاء، ويناقل النظراء، وقد اسقط من كل ذلك حرف الراء، على شيوعها في الكلام وجريانها اكثر من سواها على اللسان وفي هذه الخطبة استخدم الجمل القصيرة المسجوعة المترادفة وفيها الازدواج مع قرب المعاني، وسهولة الالفاظ وأبرز مظاهر هذا الاسلوب أي اسلوب الوعظ هو التكرار المعنوي والترادف الموسيقي الذي يشعر السامع بلون من الارتياح لذلك الايقاع الجميل، والتنغيم الصوتي يزيده السجع وضوحا وتأثيرا، ولعل هذه السهولة ما يسر لواصل بن عطاء غايته من اختيار الفاظ خالية من حلرف الراء، وذلل له سبيل الارتجال في هذا المقام فأذا اتجه للاخذ من القرآن، لجأ الى معنى الآية دون لفظها في نسق قريب من نسقها من ذلك قوله: ((سبحانه لا معقب لحكمه، ولا دافع لقضائه)) بدل القول المألوف (ولا راد لقضائه) وقوله (لا يغرب عنه مثقال حبة) وكان قوله (لا يعزب عنه مثقال ذرة)[1] وقوله (واشهد ان لا اله الا الله وحده لا مثيل له) موضع قوله (لا شريك له) وهو يقول (فليحميه زمان ، ولا يحيط به مكان) في معنى قوله تعالى﴿وسع كرسيه[2] السموات والارض﴾ وهذا النوع من القدرة على التصرف في القول بداهة، مصاحبا لهذا القدر من التوفيق والاحسان لا يواتي كل خطيب وقائل، وانما هو وقف على القالة المهرة الافذاذ الذين ملكوا نواحي البيان، ودان لهم عصيّ القول واصابوا من الثقة بنفوسهم، والتمكن من لغتهم حدا لايخشون

---

[1] سورة سبأ من الآية رقم (٣).

[2] سورة البقرة من الآية رقم (٢٥٥) .

معه عجزاً، ولا يداخلهم ازاءه شك ولا بلبلة وهذا واضح من خلال خطبة واصل بن عطاء الذي اختار الفاظا بذاتها لمعانيه، فوائته طيعة وجاءت جميلة طبيعية لا توحي بافتعال او اكراه صنعة ولا يكون ذلك الامع قوة العارضة واصالة الملكة وحضور البديهة واتساع الاحاطة باللغة ومفرداتها، والبصر بمواقع القول، ومن سمعها او قرأها خالي الذهن مما التزمه فيها قائلها، لا يشعر بما التزم فيها، ولا يدرك انها نهجت نهجا غير ما نألف ، وقد افاد واصل من خبرته اللغوية المتفوقة وقدرته على الارتجال وصوته الجهوري المؤثر لدى السامعين فخطبته هذه اسهل لفظاً واقرب معنى.

قطري بن الفجاءة[1]

نموذج من خطبه

حَمِدَ اللهَ واثنى عليه ثم قال :

أمّا بعد، احذركم الدنيا، فأنها حلوةٌ خضِرةٌ حُفَّتْ بالشهواتِ وراقت بالقليل[2]، وتحببتْ[3] بالعاجلة وَحَلِيَتْ بالآمالِ وتزيَّنتْ بالغرور، لا تدوم حبْرتها[4]ولا تُؤمن فجْعتها. غرّارةٌ ضرّارةٌ، خوّانةٌ غدارة وحائلةٌ[5] زائلة، ونافذة بائدةٌ اكّالة غوالةٌ لا تعدو اذا هي تناهتْ الى أُمنيةِ أهل الرغبة والرضا عنها ان تكون كما قال الله تعالى﴿كماءٍ انزلناه من السماء فأختلط به نبات الارض فأصبح هشيما تذروه الرياح وكان الله على كل شيء مقتدرا﴾[6] مع أن امرءًا لم يكن منها في حبرة الا اعقبته

---

[1] قطري: منسوب الى قطر قرب عمان ، وهذا كما يسمى الرجل مكيا وحجازيا ولم يولد بمكة وبالحجاز، والفجاءة من قولهم فجأة الامر بفجؤه فجأة وفجاءة ، ينظر: الجاحظ ، البيان والتبين ج٣ ص٢٦٤ ، أبو بكر الرازي، مختار الصحاح، ج١ ص٣٤٠.

[2] وراقت بالقليل أي حسنت في العين على قلة متاعها . ينظر: م . ن ، ص٢٥٣.

[3] أي تحببت الى النفوس بكونها عاجلة ، وليست آجلة كالاخرى . ينظر: م. ن، ص١١٩.

[4] حبرتها بمعنى نعمتها . ينظر: م. ن، ص١٢٠.

[5] حائلة أي بمعنى متحولة متغيرة . ينظر: م. ن، ص١٦٣.

[6] سورة يونس من الأية رقم (٢٤) .

بعدها عبرة ، ولم يلق من سرائها بطنا إلاَّ منحته من ضرائها ظهرا، ولم تطله فيها غيثة رفاء الا هطلت عليه مزنة بلاء[1] وحرّي اذا اصبحت له منتصرة ان تمني له خاذلة متنكرة، وان جانب منها اعذوذب واحلولى[2] امر عليها جانب وادبى، وان آتت امرء من غضارتها[3] ورفاهتها نعيما ارهقته من نوائبها نقما ولم يمس امرؤ منها في جناح أمن الا اصبح منها على قوادم[4] خوف غرارة غروز ما فيها، فأن ما عليها لا خير في شيء من زادها الا التقوى) ثم قال: الستم في مساكن من كان اطول منكم اعمارا، واوضح منكم آثارا، واعد عديدا، واكثف جنودا واعتد عتادا[5]، واطول عمادا، تعبدوا للدنيا أي تعبّد، وآثروها أي ايثارا وظعنوا عنها بالكره والصّغار[6]، فهل بلغكم ان الدنيا سمحت لهم نفسا بفدية، او غفت عنهم فيما قد اهلكهم بخطب؟ بل قد ارهقتهم بالفوادح[7] وضعفتهم بالنوائب وعقرتهم بالمصائب[8] وقد رأيتم تنكرها لمن دان لها، واخلد اليها حين ظعنوا عنها لفراق الابد، إلى آخر المسند[9] هل زودتهم إلاَّ السَّغَب[10]، وأحلتهم إلاَّ الضَّنْك، أو نوّرت لهم إلاَّ الظلمة أو اعقبتهم إلى الندامة ، افهذه تؤثرون، ام على هذه تحرصون، اما اليها تطمئنون يقول الله جل ذكره﴿من كان يريد الحياة الدنيا وزينتها نوّف اليهم اعمالهم فيها وهم فيها لا يبخسون، اولئك الذين ليس لهم في الآخرة إلاَّ النار، وحبط ما صنعوا فيها وباطل ما

---

[1] مزنة بلاء أي بمعنى السحابة الممطرة . ينظر: أبو بكر الرازي، مختار الصحاح ، ص٦٢٣.

[2] اعذوذب واحلولى : بمعنى عذب وحلى . ينظر: م. ن، ص١٤٨ و٤٢٠.

[3] غضارتها بمعنى نعمها لان الغضارة بمعنى النعمة وخصب العيش . ينظر: م. ن، ص١٧٧.

[4] القوادم : الريش الكبار في مقدمة الجناح . ينظر: م. ن، ص٥٢٥.

[5] واعتد عتادا أي بمعنى احضر عدة . ينظر: م . ن ، ص٤١٥.

[6] الصغار بمعنى الذل . ينظر: م . ن ، ص٣٦٤.

[7] الفوادح ، أي النوائب الثقيلة . ينظر: م . ن ، ص٤٩٣.

[8] عقرتهم بالمصائب : أي عضتهم . ينظر: م . ن ، ص ٤٤٥.

[9] المسند أي بمعنى الدهر . ينظر: م . ن ، ص٣١٧.

[10] السغب بمعنى الجوع . ينظر: م . ن ، ص ٣٠٠.

كانوا يعملون﴾[1] فبئست الدار لمن لم يتهمها، ولم يكن فيها على وجل منها ، فأعملوا وانتم تعملون- انكم تاركوها لابد، فأنما هي كما وصفها الله باللعب واللهو، وقد قال الله تعالى﴿أتبنون بكل ريع[2] آية تعبثون وتتخذون مصانع لعلكم تخلدون، وإذا ابطشتم بطشتم جبارين﴾[3] واتعظوا فيها بالذين قالوا (من اشد منا قوة؟) حُملوا إلى قبورهم، فلا يُدعون رُكبانا، وانزلوا الاجداث[4] فلا يدعون ضيفانا، وجعل لهم من الضريح أكفانا[5] ومن التراب أكفانا، ومن الرفان[6] جيرانا، فهم جيرة لا يجيبون داعيا ولا يمنعون ضيما، ولا يبالون مندبة[7] إن أخصبوا لم يفرحوا، وان قحطوا لم يقنطوا جمع وهم آحاد، وجيرة وهم ابعاد، متناءون لا يزورون ولا يزارون، حلماء قد ذهبت اضغانهم وجهلاء[8] قد ماتت احقادهم، لا يخشى فجعهم ولا يرجى دفعهم وكما قال الله تعالى[9]﴿فتلك مساكنهم لم تسكن من بعدهم إلاّ قليل، وكنا نحن الوارثين﴾[10].

دراسة ونقد وتحليل

قطري بن الفجاءة تميمي مازني من زعماء الخوارج وابطالهم يعد في عصره

---

[1] سورة هود آية رقم (١٥) .

[2] الريع بمعنى ما ارتفع من الارض ، أي ترفعون الابنية والدور تتطاولون على غيركم وتعبثون بها . ينظر: أبو بكر الرازي، مختار الصحاح، ص٢٦٦.

[3] سورة الشعراء ، الايات رقم ١٢٨و١٢٩ و ١٣٠ .

[4] الاجداث : جمع جدث وهي القبور . ينظر: م . ن ، ص٩٤.

[5] الاكنان : جمع كن وهو وقاء كل شيء وستره. ينظر: م . ن ، ص٥٨٠.

[6] الرفات : أي العظام البالية . ينظر: م . ن ، ص٢٤٩.

[7] المندبة : بمعنى الندب والبكاء . ينظر: م . ن ، ص٦٥١.

[8] الجهلاء من الجهل وهو السفاهة والحق .

[9] سورة القصص من الآية رقم (٥٨).

[10] الجاحظ ، البيان والتبيين ج٢ ص ١٠٤ ، ابن قتيبة ، عيون الاخبار ج٢ ص٢٥٠، ابن عبد ربه ، العقد الفريد ج٢ ص١٦٠، القلقشندي، مصحح الاعشى ج١ ص٢٢٣. ابن ابي الحديد، شرح نهج البلاغة، ج١ ص١٢٢ ،

من اخطب خطباء العرب، واخطب الخوارج على تميّز نفر كبير منهم باللسن وقوة البيان ، إلا أنّ خطبه[1] لم يدون منها الا القليل لسوء مذهبه بين مذاهب الخوارج ولان اكثر ما قال كان على البديهة والارتجال وهو الى طول باعه في الخطابة يعدُّ من فحول الشعراء، وما اثر من شعره وهو قطع وابيات متفرقة في كتب الادب ينم على شاعرية مطبوعة وملكة راسخة في الفصاحة والبيان، وما اختاره ديوان الحماسة من شعره يسلكه في الطبقة الاولى من شعرائها فمن ذلك قطعته التي اولها

اقولُ لها وقد طارَتْ شعاعاً

من الابطالِ ويْحكِ لا تُراعي[2]

والتي اولها

لا يرْكَنَنْ احدٌ الى الاحجامِ

يوم الوغى مُتخوفاً لحِمامِ

وكلاهما طراز عالٍ في هذا الضرب من شعراء الحماسة، وشعره ونثره المتمثل في خطبه، ميزان واحد في سمو التعبير وفخامته ورصانة اللفظ وجزالته. وهو في خطبه يجمع بين الترسل والازدواج في الجمل، أو السجع ، فينجح الى الارسال حينا، والى الازدواج والسجع حينا آخر، وينحو الى اسلوب الخطابة الدينية والوعظ ، ويكثر الاقتباس من القرآن الكريم يحسن به كلامه، او للاحتجاج لما يقول كما في خطبته هذه وهي في وصف الدنيا والتزهيد فيها وقد نظر اليها نظرة سوداء منكرة وافتن في تقبيحها وغلب جانب الشر فيها على جانب الخير، فتشاءم منها ما شاءت له هذه النظرة أن يتشاءم ، وانتهى الى أن خير زادها التقوى، وكل ماعداها فإنه لا خير فيه، وتلمس في خطبه وشعره جذوة الحماسة، وحرارة العقيدة ، وقوة القلب والشجاعة النادرة والاستماتة في الكفاح في سبيل ما يعتقده وأدبه المتمثل بخطبه

---

[1] ينظر: الدكتور محمد طاهر دروش، الخطابة في صدر الاسلام، جـ٢، ص ص٣٧٢- ٣٧٣ .

[2] اقول لها : أي النفس ، والشعاع أي المتفرق وطارت شعاعا صيغة مبالغة من الفزع وقوله لا تراعي من الورع وهو الفزع

وشعره صورة صادقة لحياته وعقيدته وكفاحه ، فقد كان من الازارقة، وهم فرقة من الخوارج اتبعوا نافع بن الازرق[1]، وغالوا في مذهبهم، فلم يقفوا عند حد تكفير المسلمين بل استحلوا قتل أطفالهم ونسائهم وسبيهن وبيعهن، وقتل العجزة ومن لم يبادئهم بحرب وحرموا منهم التزاوج والمؤاكلة والتوارث، وقالوا لا نقبل منهم الا الاسلام (يريدون اعتقاد مذهبهم) او السيف، ولا يرون مثل ذلك مع المشركين او الذميين وقد نزلوا أول الامر بالأهواز، ففتكوا بالآمنين وقتلوا الاطفال، ثم تهددوا البصرة بالاغارة على سوداها وكانت في ولاية الزبيريين، وجرت معارك شديدة بينهم وبين أهل البصرة وقتل فيها رئيسهم نافع بن الازرق، فاختاروا لهم عبيد الله ابن الماحوز[2] خليفة فقتل على يد المهلب بن ابي صفرة، اذ استطاع اجلاءهم عن الاهواز[3] فأمن أهل البصرة.

---

[1] نافع بن الازرق: هو نافع بن الازرق بن قيس الحنفي البكري الوائلي. الحروري، أبو راشد من اهل البصرة، وَهُوَ زعيم الازارقة خرج على الامام علي عليه السلام فهو من الخوارج قاتله المهلب بن أبي صفرة وقتل يوم دولاب على مقربة من الاهواز سنة ٦٠هـ. ينظر: الطبري، تاريخ الرسل والملوك ج٧، ص٦٥، و٦٦ و٧٦، الاشعري ، ابوالحسن علي بن اسماعيل ت٣٢٣هـ/٩٣٦م ، مقالات الاسلاميين واختلاف المصلين ، تحقيق : هلموت ريتر ، اسطنبول، ١٩٢٩م. الشهرستاني ، الملل والنحل ، ج١، ص١١٨-١١٩ ، المبرد، الكامل في اللغة والادب ، ج٣، ص١٠٣١ ، ابن الاثير، الكامل في التاريخ ، ج٤ ص ص٦٥-٦٦ .

[2] عبيد الله بن الماحوز: هو عبيد الله بن بشير بن الماحوز السليطي اليربوعي التميمي ، رئيس الازارقة (الخوارج)في الاهواز، قتل في مكان يسمى سلى وسلبري سنة ٦٥هـ ، ياقوت الحموي ، معجم البلدان ج٥ ص ص١٠٠-١٠١ . ابن الاثير ، الكامل في التأريخ ج٤ ص٧٦.

[3] الاهواز : كورة في بلاد فارس يجري فيها نهر كبير وكانت تسمى خوزستان في زمن الفرس يسمى دجيل الاهواز وهي جمع هوز بمعنى حوز، ينظر: اليعقوبي ، البلدان ، ص ص٨٢-٨٣ . ياقوت الحموي ، معجم البلدان ج١ ص٣٣٨ .

ثم ارتفعوا الى كرمان[1] وجانب اصفهان[2] وبايعوا على خلافتهم قطري بن الفجاءة ، فاستطاع قطري ان يشدّ من عزيمة اصحابه ، فقويت شكيمتهم ودوّخ الدولة الأموية عشرين سنة ، وهو يطاول ويصاول بين كرّ وفرّ ، وهي تبعث عليه بالجيوش بعد الجيوش ، واستولى على اجزاء كثيرة من بلاد فارس[3] والاهواز وطبرستان[4] والعراق[5] إلا أن تولي المهلب وهو القائد المحنك الداهية، حاربهم، وكسر من شوكتهم فقد نهكهم بطول مصابرته ولطف حيلته في القتال، حتى كانت نهاية خطرهم بنشوب الفتنة بينهم، فقاتل بعضهم بعضا وافترقوا على قطري، إلا فرقة صغيرة منهم تبعته، وتعقبهم المهلب مستفيدا مما صاروا اليه فكسرهم شركسرة ومزقهم وفرّ قطري بمن معه ، وتعقبته جنود المهلب الى شعاب طبرستان، فقاتلوه هناك حتى تفرق عنه اصحابه ، وسقط عن دابته في أسفل وادٍ فقتل سنة ٧٩هـ

---

(١) كرمان : مدينة ايرانية يمنة بجستان توازي الجوزجان فيها نخل كثير ومياهها قليلة افتتحت في زمن الخليفة عثمان بن عفان رضي الله عنه من قبل عبد الرحمن بن سمرة ، ينظر: اليعقوبي ، البلدان ص١١٤. ياقوت الحموي ، معجم البلدان ج٤ ص٥١٥.

(٢) اصفهان : لاصفهان مدينتان يقال لاحداهما جي والاخرى اليهودية واهلها اخرط من الناس عرب وعجم من الدهامتين وافتتحت ٢٣هـ وفيها مياه كثيرة واودية ، ينظر: اليعقوبي ، البلدان، ص٨٥. ياقوت الحموي ، معجم البلدانج٢ ص٢٣٥ .

(٣) بلاد فارس : ولاية واسعة واقليم فسيح اول حدودها من جهة العراق ارّجان ومن جهة كرمان السيرجان ومن جهة ساحل بحر الهند سيراف ومن جهة السند مكران وهي اسم بلد ، اليعقوبي ، البلدان ص٢٢. ياقوت الحموي ، معجم البلدان ج٤ ص٢٥٦.

(٤) طبرستان : هي بلد كثير الحصون منيع الاودية وطبر لقطة فارسية واستان الموضع او الناحية فهي ناحية الطبر وهي بلد المازيار موالي أمير المؤمنين ، ينظر: اليعقوبي ، البلدان ص٩١. ياقوت الحموي ، معجم البلدان ج٤ ص١٤.

(٥) العراق بلد مشهور سميت بذلك من عراق القربة وهي اسفل ارض العرب وقيل سمي عراقا لانه سفل عن نجد ودناض البحر وقيل العراق شاطىء البحر . اليعقوبي ، البلدان ص١١، ياقوت الحموي، معجم البلدان ج٤ ص١٠٥.

وبمقتله اضمحل أمر الخوارج ، ولم يكن لهم من بعده شأن يذكر، ولا سيما في هذا الجانب من المملكة الاسلامية إلى نهاية الدولة الاموية وهذه الخطبة الطويلة كلها وعظ ، تحذير من الدنيا وذم لها ، وتزهيد فيها ودعوة إلى الاعتبار بأحوالها وما صار إليه اهلها ، ولولا ايمان قطري بما ذكر فيها ايمانا قويا ، وحماسة لهذه العقيدة ، ما رأيت عنده هذا الالحاح الشديد في دعوته ، ولا ذلك النفس الطويل في خطابته. ولا هذا التركيز الواضح على هدفه، والتزامه فيها نهجا واحدا من القول له خصائص مشتركة بارزة، واسلوبا معينا له سمات مميزة، يعفينا[1] من طول التتبع لاجزائها وفقراتها ويدعونا إلى اجمال الظواهر البيانية في هذه الخطبة. فقطري كما ذكرنا يخطب في ايمان وحماسة وصدق، وكأنه يسكب حرارة هذا الايمان في كلماته، ويصل روحه بعباراته، لذلك نرى أثر العاطفة الصادقة ظلا ضافيا من الاحسان في القول يبدو في تخير لفظه ، والعناية برصفه، عناية تبدو في السجع المقبول والازدواج الطلي، وتساوي الفواصل في كثير منها وتوفير ضروب من الايقاع الصوتي العذب، والتنغيم الموسيقي المطرب وحسن عرضه للصور وجلائه للرسوم المتحركة المتتابعة المعبرة، وكثرة رجوعه الى القرآن، واستشهاده بآياته، فكان من ذلك كله فن جميل وصنعة مقبولة وحذق ملموس، وبراعة واضحة، اضفت على الخطبة قوة وجمالا وتأثيرا، ولكننا قبل ان نمضي عن قطري الى سواه ننظر في مدى صحة انتساب هذه الخطبة اليه وهي الوحيدة التي بقيت له، ورويت عنه، ومع ذلك فإن ابن ابي الحديد[2] في شرحه لنهج البلاغه يقول عنها (واعلم ان هذه الخطبة ذكرها شيخنا ابو عثمان الجاحظ[3] في كتابه البيان والتبين، ورواها لقطري بن الفجاءة والناس يروونها لأمير المؤمنين علي عليه السلام، وقد رأيتها في كتاب الموفق لابي عبيد الله المرزباني مروية لامير المؤمنين عليه السلام وهي بكلام امير

---

[1] ينظر: القلقشندي، صبح الاعشى في صناعة الانشا، جـ١، ص٢٢٣.

[2] ينظر: ابن أبي الحديد ، شرح نهج البلاغة جـ٢ ص١٢٢.

[3] ينظر: الجاحظ ، البيان والتبين جـ١ ص١٠٤.

المؤمنين اشبه وليس ببعيد عندي ان يكون قطري قد خطب بها، بعد ان اخذها عن أصحاب أمير المؤمنين عليه السلام، فإن الخوارج كانوا اصحابه وانصاره، وقد لقي قطري اكثرهم.

وابن ابي الحديد يعتمد في حكمه هذا على أمور هي أن الناس يروون هذه الخطبة لعلي عليه السلام وليس هذا دليلا ولا شبهة، لأن الرأي في هذه المسائل ليس للناس وقد دس على الامام علي رضي الله عنه كثير من الخطب والاقوال، ومع هذا فالناس يروون له، وأنه رأى هذه الخطبة في كتاب الموفق للمرزباني مروية لعلي، وهذا أيضا لا يصلح دليلا لان المرزباني ليس خيرا من سواه، ولو كان مجرد وجودها في الموفق منسوبة الى علي كرم الله وجهه دليلا على انها خطبته، لكان وجودها في البيان والتبين منسوبة لقطري دليلاً على انها خطبته، اما انه ليس ببعيد أن يكون قطري قد خطب بها بعد أن اخذها من أصحاب علي رضي الله عنه فكيف لا يكون بعيداً؟ وقطري خطيب بليغ، وليس هو من العجز والغفلة بحيث يسرق خطبة طويلة كاملة مشهورة لامام خطير مشهور، فيخطب بها انصاره ولا يعدم أن يكون بينهم من كان من انصار ذلك الامام ورجاله، والخوارج عامة معروفون بالفصاحة واللسن، والقدرة على الاحسان في القول وخطابتهم من اقوى وافصح ما عرف العرب من خطابة، وقطري نفسه من اخطبهم وافصحهم واسرعهم خاطرا، واحضرهم بديهة ، ذلك فضلا عما هو معروف من العداوة والحرب بينهم وبين علي عليه السلام، وقد قتل كثيراً من زعمائهم ورجالهم فلا يسوغ في الاذهان ان يتزودوا بكلامه، ويجعلوه عدتهم في الشدائد والنضال، وأما قول ابن ابي الحديد ان هذه الخطبة بكلام امير المؤمنين اشبه فهو قول مقبول لانها تتفق في روحها مع ما عرف عن علي وقطري معا وهي في اخرها أشبه بعلي رضي الله عنه وروحه وكلامه فالذي يبدو هو انها ربما جمعت من خطب وأقوال مختلفة في مواطن عدة لهذا وذاك، ولا يبعد ان يحدث ذلك كما حدث في غيرها، مما أشرنا إلى بعضه في موضعه ففيها اطالة وتفصيل وتكرار للمعنى الواحد وعرض له في صور متعددة، وبالألفاظ تكاد تكون متشابهة وهي من الطول بدرجة تقل في الخطابة العربية وبخاصة ما كان متصلا منها بأغراض حربية.

ولا شك في ان يد التحريف قد تناولت أثار الخوارج كما تناولت غيرها وان كان عدوان السياسة عليهم أشد من عدوانها على غيرهم فامتد الى آثارهم الادبية[1]، كما امتد وطغى على حياتهم، فأننا لا نجد لهؤلاء الخطباء المقاول الذين طالما هزوا اعواد المنابر، واتخذوا القول صناعة وبضاعة الاخطبا قليلة متفرقة، ذلك بان الخوارج لم تكن لهم دولة، ولا قامت لهم بعد القضاء عليهم اوائل القرن الثاني الهجري قائمة، ولم يكن لهم بعد ذهاب ريحهم أتباع، يجمعون ميراثهم الادبي، ويحفظون ما خلفوا للتأريخ، فتبدد، وحجب عن الناس أكثره، حتى سحب النسيان عليه أذيال الضياع. ولذلك فقد كانت الخطابة عند الخوارج سلاحا ماضيا لا يُفل، وسبيل الدعوة الى عقيدتهم وآرائهم والدفاع عنها، تغذيها العاطفة الملتهبة القوية، وتذكيها تلك القدرة البيانية، فأجادوها وارتفعوا بها، وأحسنوا فيها وقد اغرى هذا الاحساس والنجاح شعراءهم، فاتجهوا إلى الأساليب الخطابية والاحتجاج والجدل، والثورة والتقرير، ومجابهة الأحداث الطارئة، حتى كأن شعر بعضهم خطابة مرتجلة وساعدهم على هذا أنهم لم يكونوا في الغالب يحترفون الشعر، ولا يسابقون به غيرهم من الشعراء، ولكنهم كانوا يتخذونه لخدمة مذهبهم والدفاع عن قضيتهم لذلك جاء اكثره في صورة مقطوعات انشئت عند الحاجة اليها وقد تأثر الشعر بالخطابة عند الخوارج.

خالد بن صفوان[2]

نموذج من خطبه

نهض خالد بن صفوان عند عمر بن عبد العزيز مهنئا ومعزيا فقال (الحمد لله

---

[1] ينظر: الدكتور محمد طاهر دروش، الخطابة في صدر الاسلام، جـ٢، ص٣٧٩ و٣٨٢.

[2] خالد بن صفوان : هوخالد بن صفوان بن عبد الله بن عمرو بن الاهتم التميمي المنقري من فصحاء العرب المشهورين كان يجالس عمر بن عبد العزيز وهشام بن عبد الملك وله معهما اخبار ولد بالبصرة وكان ايسر اهلها مالا ولم يتزوج له كلمات سائرة قيل له أي اخوانك احب اليك ؟ فقالا الذي يغفر زللي ويقبل عللي ويسر خللي عاش الى ان ادرك خلافة ابو العباس السفاح ، وصفوان جمع صفوانة وهي الحجر الصلد الضخم وقد ورد لفظ صفوان في القرآن الكريم في قوله تعالى (يا ايها الذين امنوا لا تبطلوا صدقاتكم بالمني والاذى كالذي ينفق ماله رئاء الناس ولا يؤمن بالله واليوم الاخر فمثله كمثل صفوان عليه تراب)، توفي سنة ١٣٣هـ ، ينظر الجاحظ ، البيان والتبين، ج١ ص٢٤ ، الزركلي ، الاعلام، ج٢ ص٣٣٨ .

الذي منَّ على الخلق بك، والحمد لله الذي جعل مـوتكم رحمـة وخلافـتكم عصـمة ومصابكم اسوة وجعلكم قُدْوة).[1]

ثم خطب يوما عند ابي العباس السفاح[2] فقال (وما عسى ان اقول لقـوم كـانوا بين ناسخ بردٍ، ودابغ جلدٍ، وسائس قرد، وراكب عَرْدٍ[3] دلَّ عليهم هُدهُد، وغـرقتهم فأرة ، وملكتهم امرأة)[4] فلئن كان خالد قد فكر وتدبر هذا الكلام أنه للراوية الحـافظ والمؤلف المجيد، ولئن كان هذا شيئا حضره حين حُرِّك وبُسِط فما له نظير في الدنيا، فهذا الخطاب يعتبر مليحاً مقبولا وعظيم القدر جليلا ولو خطب اليمانيُّ بلسان سحبان وائل حوْلا كَرِيتاً[5]، ولذلك فخالد بن صفوان كان في خطبته أذكرَ الناس لاول كلامه وأحفظهم لكل شيء سلف من منطقه وهو في خطبته هذه رد على من كان يفخر عليه وهم من أحوال الخليفة أبو العباس السفاح. وفي خطبته الأولى يمدح الخليفة عمر بن عبد العزيز بعد أن حمد الله واثنى عليه وكرر الحمد مرتين وقد اصاب واجاد وابدع.

وهذا نموذج آخر لبعض خطبه قال (كان والله بديعَ المنْطق، دلِقَ الجُرأة[6] جـزل الالفاظ، عربي اللسان، ثابت العُقْدة، رقيق الحواشي، خفيف الشفتين، بليـلَ الريـقِ،

---

[1] القيرواني ، زهر الاداب ، ج٣ ص٣٤٧، أحمدُ زكي صفوت، جمهرة خطب العـرب، جـ٣، ص٣٤٨.

[2] ابو العباس السفاح : هو ابو العباس عبد الله بن محمد بن علي بن عبـد الله بـن عبـاس اول الخلفاء العباسيين بويع بالخلافة سنة ١٣٢هـ وتوفي سنة ١٣٦هـ ، ينظر اليعقوبي ، تـأريخ اليعقوبي ج٢ ص٢٤٣، الطبري ، تأريخ الطبري ، ج٩، ص١٥٤ ابن الاثيـر . الكامـل ج٥ ص١٥٢.

[3] ينظر: الجاحظ، كتاب الحيوا ن، جـ١ ص١٥٢ ، ابن قتيبة ، عيون الاخبـار جـ٣ ص٧٣، ياقوت الحموي ،معجم البلدان ، جـ٨ ص٥٢٤.

[4] العرد بمعنى الحمار ذكره في القاموس ولم يرد في اللسان .

[5] حولا كريتا بمعنى تام .

[6] يقال سيف دلق : أي سهل الخروج من غمده ، ودلق الجرأة أي مقـدام . ينظـر: أبـو بكـر الرازي، مختار الصحاح، ص٢٠٩.

رَحْبَ الشَرف، قليل الحركات، خفيّ الاشارات، حُلْو الشمائل، حَسَنَ الطلاوَة[1]، حيّاً جريئاً، قؤولا صموتا، يَفُلُّ الحزّ[2] ويصيب المفاصل، لم يكن بالمعذِّر[3] في منطقه، ولا بالزَمِن[4] في مروءته ولا بالخَرِق[5] في خَلقته، متْبوعا غير تابع، كأنه عَلَم[6] في رأسه نارُ) وهذه الخطبة يمدح خالد بن صفوان رجلا فوصفه بأوصاف دلت عليها كونه صاحب منطق فالكلام يخرج من لسانه كخروج السيف من غمده وهذا في منتهى الدقة في الوصف والتشبيه وهو على قدر كبير من جزالة اللفظ وسهولة وفصيحة الالفاظ وهي منسقة الافكار تخاطب العاطفة بقدر ما تخاطب العقل، وهو صاحب مروءة وشجاعة، وهذا من شأن رجالات العرب في ذلك الوقت، ثم شبهه بالجبل الذي في رأسه نار كونه معلوما ومعروفا ومشهورا وقد اورد الجاحظ في كتابه البيان والتبين ان خالدا كانت له امرأة[7] وقالت له انك لجميل يا ابا صفوان قال وكيف تقولين هذا وما في عمود الجمال ولا رداؤه ولا بُرنُسه. فقيل له: ما عمود الجمال فقال الطول، ولست بطويل، ورداؤه البياض ولستُ بأبيض، وبرنسه سواد الشعر، وانا اشمط ولكن قولي :انك لمليح ظريف. وخالد يعد في الصلعان في حين اورد الزركلي في كتابه الاعلام انه غير متزوج[8] وكان من الاثرياء.

---

[1] حسن الطلاوة : أي بمعنى مقبول . ينظر: م. ن، ص٣٩٧.

[2] الحز بمعنى القطع . ينظر : م . ن ، ص١٣٣.

[3] المعذر بمعنى المقصر . ينظر: م . ن ، ص٤٢٠.

[4] الزمن بمعنى المعيب . م . ن ، ص٢٧٥.

[5] الخرق بمعنى الذي لا يحسن التصرف بالامور . ينظر: م . ن ، ص١٧٣.

[6] العلم بمعنى الجبل . ينظر: م . ن ، ص٤٥١.

[7] ينظر: الجاحظ ، البيان والتبين ، ج١ ص ٣٤٠ .

[8] الزركلي ، الاعلام ، ج٢ ص٣٣٨ .

المبحث الثاني

الخطابة والقصص

القُصاص :

القُصاص جماعة من رجال الوعظ الديني وأشباههم، ولهم في خطاباتهم طابع غالب، فاسلوبهم يشبه الأسلوب الخطابي الوعظي، وقصصهم فرع من الوعظ الديني ما يلقى في المساجد، وميادين القتال، وقد عرفوا به، ورصدوا انفسهم له وكان اداة دينية وسياسية معا يخدم السياسة باسم الدين ويظلها بدعوته، وقد رأينا كيف اقام الخليفة عمر بن الخطاب رضي الله عنه رجالا يعضون ويقصون عند الحرب، وفي ميادين القتال، وبقي ذلك قائما حتى العصر الاموي، فاتسع نطاقه، واختص به بعضهم، والقصص لون من الوعظ، يعتمد غالبا على القرآن وتفسيره والحديث والكلام فيه، واخبار السالفين وما تبعثه من عبرة، والحث على النظر في ملكوت السموات والارض وما يتصل بذلك من التذكير بالله واوامره، والحث على الجهاد في سبيله، واجتناب محارمه، وما اعد الله لعباده في الدار الآخرة.

من مشاهير القُصاص

الاوزاعي [1]

وكان الاوزاعي يقول في قصصه ووعظه (اتقوا الله معشر المسلمين، واقبلوا نصح الناصحين وعظة الواعظين، واعلموا ان هذا دين الله، فانظروا ما تصنعون وعمن تأخذون، وبمن تقتدون، ومن على دينكم تؤمنون)[2] واسلوب الاوزاعي في

---

[1] الاوزاعي : هو ابو عمرو عبد الر حمن بن عمرو بن محمد الاوزاعي ،ولد في بلعبك سنة ٨٠هـ وقيل سنة ٩٣هـ امام اهل الشام في عصره في الفقه توفي سنة ١٥٧هـ (ينظر : ابو نعيم الاصبهاني ، حلية الاولياء ج٦ ١٣٥-١٤٨. ابن خلكان ، وفيات الاعيان ، ج٢ ص ص٣٠٠ -٣٠٢ ، ، ابن العماد الحنبلي شذرات الذهب ،ج١، ص ص٢٤١ -٢٤٢)

[2] ينظر: الجاحظ،البيان والتبين ، ج١ ص٢٤٧ ، ابن عساكر ، تهذيب تأريخ دمشق ،ج٢ ص١٩٩. أحمد زكي صفوت، جمهرة خطب العرب، جـ٢، ص٥٠ رقم ٤٦.

خطبته هذه التزم السجع ايغالا في طلب التأثير في السامعين، بما له من رنين وما فيه من جرس موسيقي وهو في قصصه يعتني بالتجويد والترصيع، وتنميق العبارة والتأنق البلاغي.

الإمام الحسن البصري[1]

نموذج من قصصه

من قصص الحسن البصري قوله وهو يقرأ (الهاكم التكاثر[2] الهاكم التكاثر[3]. عمّ الهاكم؟ عن دار الخلود وجنة لا تبيد، هذا والله فضح القوم، وهتك الستر وابدى العوار[4]، تنفق مثل دينك في شهواتك سرفاً وتمنع في حق الله درهما، ستعلم يا لُكَع[5]: الناس ثلاثة مؤمن وكافر ومنافق، فأما المؤمن فقد الجمه الخوف وقوّمه ذكر العرض، وأما الكافر فقد قمعه السيف وشرده الخوف، فأذعن بالجزية، وسمح بالضريبة وأما المنافق، ففي الحجرات والطرقات، يسرون غير ما يعلنون، ويُضمرون غير ما يظهرون، فاعتبروا انكارهم ربهم بأعمالهم الخبيثة، ويلك قتلت وليّه ثم تتمنى عليه جنته) وهذا نموذج آخر من قصصه (رحم الله رجلا خلا بكتاب الله، فعرض عليه نفسه فإن وافقه حمد ربه ، وسأله الزيادة من فضله ، وان خالفه أعتب وأناب، وراجع من قريب، رحم الله رجلا وعظ اخاه وأهله فقال: يا أهلي:

---

(1) الحسن البصري: هو الحسن بن يسار البصري، أبو سعيد تابعي، كان امام اهل البصرة في زمنه وَهُوَ احد العلماء الفقهاء الفصحاء الشجعان النساك، ولد بالمدينة سنة ٢١هـ وشبّ في كنف الامام علي بن أبي طالب رضي الله عنه وسكن البصرة وتوفي سنة ١١٠هـ/ ٧٢٨م. ينظر: الاصبهاني، حلية الاولياء وطبقات الاصفياء، جـ٢، ص١٣١. الذهبي أبو عبد الله محمد بن أحمد (ت٧٤٨هـ/ ١٣٤٨م) ميزان الاعتدال في نقد الرجال تحقيق: محمد علي البجاوي، دار احياء الكتب العربية، (مصر، ١٩٦٣م) جـ١، ص٢٤٥.

(2) سورة التكاثر آية رقم (١).

(3) ينظر: الجاحظ، البيان والتبين ج٣ ص٩ ، الطبري ، تأريخ الرسل والملوك ،ج٧ ص٢٤٦ .

(4) العوار بمعنى العيب .

(5) اللكع : بمعنى اللئيم والاحمق .

صلاتكم صلاتكم، زكاتكم زكاتكم، جيرانكم جيرانكم، اخوانكم اخوانكم، مساكينكم، لعل الله يرحمكم فأن الله تبارك وتعالى اثنى على عبد من عباده فقال (وكان يأمر اهله بالصلاة والزكاة وكان عند ربه مرضيا)[1] يا بن آدم. كيف تكون مسلما ولم يسلم منك جارك! وكيف تكون مؤمنا ولم يأمنك الناس)[2] والحسن البصري في قصصه هذه يكثر من الترادف والتكرار لانه في مقام يحتاج لتقرير معانيه وآرائه في الاذهان وتثبيت دعوته ووعظه بالنفوس وهذا التكرار من شأنه ان يمنحه فرصة واسعة لحسن الايقاع، ويهيء له مجالا للتنغيم واتساق الفواصل، مستعينا بالتجويد والتنميق والسجع والازدواج، وتقصير الجمل، وسهولة العبارة فيها يتهيأ حسن الادراك للمراد وهي في الوعظ والقصص ألزم منها في سواها وفي قصصه التجاء الى التصوير والتأثير بالقرآن الكريم.

عبيد الله المرّي الشيعي

نموذج من قصصه

كان عبيد الله بن عبد الله المري من دعاة المضر زمن سليمان بن صرد[3] ونهضة التوابين، وكان من ابلغ الناس عظة ومنطقا، فإذا ما اجتمعت اليه جماعة من الناس وعظهم، وقال (اما بعد. فإن الله اصطفى محمدا صلى الله عليه وسلم على خلقه بنبوته وخصه بالفضل كله، واعزكم بأتباعه، وأكرمكم بالايمان به، فحقن به دماءكم المسفوكة، وآمن به سبلكم المخوفة، ﴿وكنتم على شفا حفرة من النار فأنقذكم منها،

---

[1] سورة مريم آية رقم (٥٥) .

[2] ينظر: الجاحظ ، البيان والتبين ، ج٣ ص٣٠ .

[3] سليمان بن صرد : سليمان بن صُرد بن الجون بن أبي الجون عبد العزى بن منقذ السلولي الخزاعي أبو مطرّف ولد سنة ٢٨ ق هـ، صحابي من الزعماء القادة شهد الجمل وصفين مع علي عليه السلام وسكن الكوفة وترأس التوابين قتل بعين الوردة بعد ان دارت معارك بينه وبين عبيد الله بن زياد قتله يزيد بن الحصين سنة ٦٥هـ/٦٨٤م. ينظر : ابن سعد، الطبقات الكبرى، م٤، ص٢٦٩. الذهبي تأريخ الاسلام ج٣ ص ١ض٧ ،حاجي خليفة ، هدية العارفين، ج١ ص٤٠٤

كذلك يبين الله لكم آياته لعلكم تهتدون﴾[1] فهل خلق ربكم في الاولين والآخرين اعظم حقا على هذه الامة من نبيها؟ وهل ذرية أحد من النبيين والمرسلين أو غيرهم اعظم حقا على هذه الامة من ذرية رسولها؟ لا والله، ما كان ولا يكون، الله انتم! ألم تروا ويبلغكم ما اجترم الى ابن بنت نبيكم! أما رأيتم الى انتهاك القوم حرمته، واستضعافهم وحدته، وتَرْميلهم اياه بالدم، وتجرارهم له على الارض! لم يراقبوا فيه ربهم، ولا قرابته من الرسول صلى الله عليه وسلم، اتخذوه للنّبل غرضا، وغادروه للضباع جَزَرا[2] فللّه عيناً من رأى مثله! ولله حسين بن علي! ماذا غادروا به ذا صدق وصبر، وذا أمانة ونجدة وحزم، ابن اول المسلمين اسلاما، وابن بنت رسول رب العالمين قلّت حماته، وكثرت عداته حوله، فقتله عدوه، وخذله وليُّه، فويل للقاتل، وملامة للخاذل، ان الله لم يجعل لقاتله حجة، ولا لخاذله معذرة، الا ان يُناصِح لله في التوبة، فيجاهد القاتلين، وينابذ القاسطين[3] فعسى الله عند ذلك ان يقبل التوبة ويُقيل العثرة انا ندعوكم الى كتاب الله وسنة نبيه، والطلب بدماء أهل بيته والى جهاد الملحدين والمارقين، فأن قُتلنا فما عند الله خير للابرار، وان ظهرنا رددنا هذا الامر الى اهل بيت نبينا)[4] ان اسلوب[5] عبيد الله المري في خطبته هذه هو احتماء السياسة بالدين واعتصامها بالوعظ والقصص في استنهاض الهمم للقتال وهو يدعو الى الاخذ بثأر الحسين بن علي رضي الله عنهما أما من حيث اسلوبه في قصصه هذه فهو التكرار والترادف والسجع والازدواج مع استثارة عاطفة المحبة لآل البيت والاجلال للنبوة، واستنهاض الحمية الدينية، وهكذا نرى من خلال النماذج لقصص بعض المشاهير الذين اشتهروا بهذا الاسلوب الخطابي بأن هذه القصص ما هي الا خطابة وعظية ووسيلة دينية وسياسية.

---

[1] سورة آل عمران من الآية رقم (١٠٣) .

[2] جزرا ! أي بمعنى قطعا . ينظر: أبو بكر الرازي، مختار الصحاح، ص ص١٠٢-١٠٣

[3] ينابذ القاسطين : أي يقاتل الظالمين الجائرين . ينظر: م. ن، ص٦٤٢.

[4] ينظر: أحمد زكي صفوت ، جمهرة خطب العرب ج٢ ص٦٣ رقم ٥٠.

[5] ينظر: الدكتور محمد طاهر دروش، الخطابة في صدر الاسلام، جـ٢، ص ص٤٢٥- ٤٢٧.